مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

أذربيجان والسعودية:
فرص ثنائية في شرق أوسط متغيّر

محمد الرميزان

سبتمبر ٢٠١٩م

تقرير خاص

أذربيجان والسعودية:
فرص ثنائية في شرق أوسط متغيّر

تقرير خاص

تعود العَلاقةُ بين جمهورية أذربيجان والمملكة العربية السعودية إلى العام الأول من استقلال جمهوريةِ أذربيجانَ عن الاتحاد السوفييتي السابق في الثلاثين من ديسمبر لعامِ ١٩٩١م. لكن العَلاقةَ الرسمية لم تقم إلا بزيارة رئيس أذربيجان الأسبق حيدر علييف (١٩٢٣-٢٠٠٣) إلى الرياض في أبريل من عام ١٩٩٤[1]. وفي ذلك العام، أسست أذربيجان سفارتَها في الرياضِ (التي كانت مفوضةً بالشؤون الدبلوماسية مع البحرين وعمان أيضاً)، ومن ثَمَّ، بدأت العلاقات السياسية والدبلوماسية الرسمية تُقرِّب ما بين الدولتين لأجل تقوية التعاون والتمثيل المتبادل على مستوياتٍ عدةٍ. وبعد تحرُّك الأذربيجانيين ناحيةَ تقوية العَلاقة مع السعوديين، افتتحت السعوديةُ سفارتَها في باكو في يونيو من عام ١٩٩٩م. وفي الثاني عشر من ديسمبر لعام ٢٠٠٣م، بدأ الرئيسُ الحاليُّ لأذربيجان (وابن الرئيس السابق) إلهام علييف (١٩٦١-) القيامَ بواجباته الرئاسية بعد وفاة والده. وبعد عامين فقط في ٢٠٠٥م، زار السعوديةَ زيارةً رسمية ممهداً الطريق لزيارات أكثر من المسؤولين الحكوميين الأذربيجانيين واجتماعات مع نظرائهم السعوديين على مرِّ السنوات التالية. ومنذ ذلك الحين، بدأت الدولتان في زيارات رسمية تعاونية واتفاقات سياسية واقتصادية ومشاريعَ مشتركةٍ نافعة لكلتيهما.

خلفيةٌ عن السياسات الثُّنائية

إن نظرةً على العَلاقةِ التاريخية بين أذربيجان والسعودية تبيِّن الدعمَ المتبادل القويَّ بينهما في مناسباتٍ عدة بعد تأسيس عَلاقتهما الرسميةِ. فبعد استقلالها، سعت أذربيجان إلى الانضمامِ إلى منظماتٍ دوليةٍ عديدة، من بينها منظمةُ التعاون الإسلامي (OIC)، وهو ما تمَّ بالفعل في ديسمبر من عام ١٩٩١م، وبذلك أصبحت مجاورة للسعودية في منظمة عالمية ومهمة. وفي الأعوام التالية، وخاصة في منتصف التسعينيّات، كانت السعودية من بين أولى الدول التي قدّمت المساعدة الإنسانية والدعمَ الاقتصاديَّ للأذربيجانيين ممن شرَّدَتهم حرب ناغورني-كاراباخ (Nagorno-Karabakh) بين أذربيجان وأرمينيا. ففي فترة الصراعِ من ١٩٨٨ وحتى ١٩٩٤، احتلت أرمينيا عشرين في المئة من أرض أذربيجان، وفيها إقليم ناغورني-كاراباخ وسبعةُ أقاليمَ أخرى حوله[2]. وفي ذلك، دعمت السعوديةُ

(1) Administrative Department of the President of the Republic of Azerbaijan, "Azerbaijan in the International Arena," Presidential Library, accessed Jan. 7, 2019, http://files.preslib.az/projects/azerbaijan/eng/gl8.pdf.

(٢) انظر:

Shireen T. Hunter et al., The New Geopolitics of the South Caucasus: Prospects for Regional Cooperation and Conflict Resolution (Lanham, MD: Lexington Books, 2017), p. 237.

حقَّ أذربيجان في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وفي منظمة التعاون الإسلامي، وأكّدت على سُلطتِها المعترَفِ بها عالميّاً على إقليم ناغورني-كاراباخ. وكذلك، لا يوجد للسعودية أيُّ مستوى من العلاقة الرسمية أو غير الرسمية مع أرمينيا[٣]. ذلك لأن السعوديين سعوا لدعم الأذربيجانيين، وفي هذه القضيةِ على وجه الخصوص. لكن لم يقتصر الدعمُ السعوديُّ على ذلك الأمر، بل يُمكِنُنا رؤيتُه أيضاً في الاستثمارات السعودية التي قام بها الصندوقُ السعودي للتنمية (SFD) في أذربيجان أوائل القرن الحاليّ، وذلك لمساعدة الدولة الأذربيجانية بالعديد من مشروعات البنيةِ التحتية[٤].

القِيَم الاقتصادية الثنائية

ومن منظورٍ اقتصاديٍّ، كانت السعودية تستثمر في أذربيجان منذ منتصف التسعينياتِ، لكن قيمة هذه الاستثمارات كانت متواضعةً عند مقارنتها بالاستثمارات الجديدة، وخاصةً بعد عام ٢٠٠٩ (انظر شكل ١). يقترب إجماليّ الاستثمارات السعودية الحكومية والخاصة من ثلاث مئةٍ وسبعين مليون دولار أمريكي[٥]. ووصل التبادلُ التِّجاريُّ بين الدولتين في عام ٢٠١٨م، وَفقاً للجنة الجمارك الحكومية في أذربيجان إلى سبعةَ عشَر مليون دولار[٦].

وتدعم الدولتان اللجنةَ المشتركة للتعاون السعودي الأذربيجاني، التي تجتمعُ لدعم مسؤولي الدولتين استهدافَ تنمية الاقتصاد والاستثماراتِ والتقنية والتجارة والثقافة والرياضة والشباب. انعقد الاجتماعُ الأول بين الدولتين في عام ٢٠٠١م في باكو، وتبادلتا اللقاءاتِ في السنوات التالية. وانعقد آخرُ الاجتماعات في باكو في مارس من عام ٢٠١٩م، ونتج عنه بعضُ الاتفاقاتِ التي وقّعتها وزارةُ الماليةِ الأذربيجانية مع الهيئة السعودية العامةِ للاستثمار (SAGIA)[٧]، حول تنمية الشراكات الاقتصادية وزيادةِ التِّجارة وتنمية الأعمال في قطاعات عدة.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٧. من المهم الإشارة إلى أنه منذ وقف إطلاق النار، وقعت صدامات بين أرمينيا وأذربيجان في ناغورني-كاراباخ في ٢٠٠٨ و٢٠١٠ و٢٠١٤، ومؤخرًا في ٢٠١٦. لتفاصيل أكثر انظر:
Audrey L. Altstadt and Rajan Menon, "Unfrozen Conflict in Nagorno-Karabakh: Why Violence Persists," *Foreign Affairs*, April 12, 2006, https://www.foreignaffairs.com/articles/armenia/2016-04-12/unfrozen-conflict-nagorno-karabakh; Lada Yevgrashina, "Azerbaijan May Use Force in Karabakh after Kosovo," Reuters, March 4, 2008, https://www.reuters.com/article/idUSL04930529.

(٤) الهيئة العامة للاستثمار، العلاقات السعودية الأذربيجانية ٣-٥ مارس: https://investsaudi.sa/media/1390/saudiazerbaijanrelation.pdf

(5) Ministry of Foreign Affairs of the Republic of Azerbaijan, "Saudi Arabia Keen on Making Investments in Azerbaijan," Mar. 5. 2019, http://riyadh.mfa.gov.az/en/news/4/3168.

(6) Leman Mammadova, "Saudi Arabia Eyes to Expand Co-Op with Azerbaijan in Investment and Tourism", *Azernews*, Jan. 10, 2019, https://www.azernews.az/business/143785.html.

(٧) الهيئة العامة للاستثمار، العلاقات السعودية الأذربيجانية، ٣-٥ مارس: https://investsaudi.sa/media/1390/saudiazerbaijanrelation.pdf

شكل (١): التبادل التجاري بين أذربيجان والسعودية

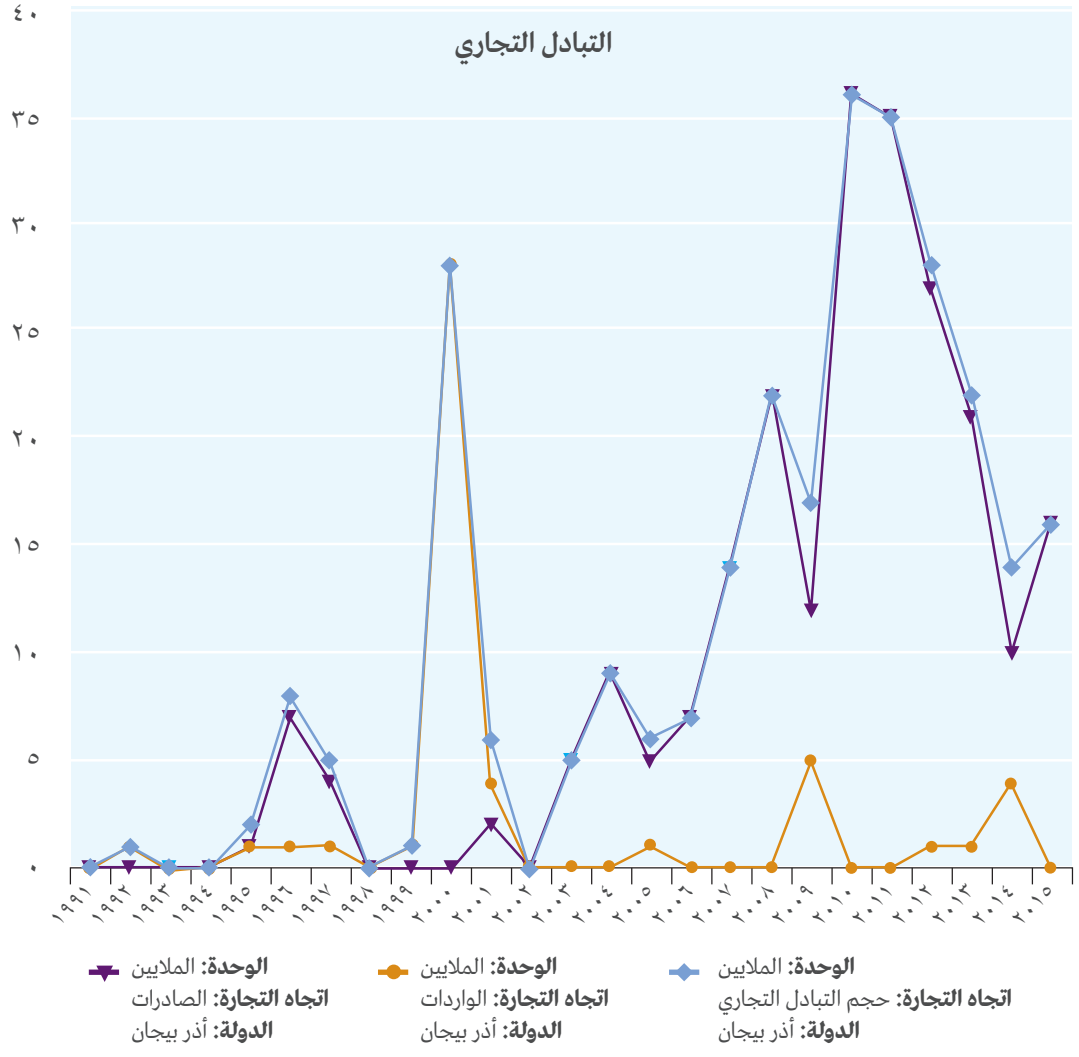

(المصدر: الهيئة السعودية العامة للإحصاء)

تمتلك السعودية وأذربيجان كلتاهما صناعات بترولية وصناعات نفط وغاز نشطة. ومنذ منتصف التسعينيات، قوَّت السعودية علاقاتها بأذربيجان عبر المشاركة في معاهدة القرن الأذربيجانية لتطوير صناعاتها البترولية، وكذلك حصلت على نسبةِ ٢,٧٢ في المئة من المعاهدة عبر حصتها في شركة ديلتا هيس الأمريكية[٨]. وبعد ذلك، وقَّعَت في عام ٢٠١٢م شركتان من قطاع البترول اتفاقاً

(٨) أصدر الرئيس الأذربيجاني مرسومًا في ديسمبر من عام ١٩٩٤م استهدف جذب متعهدي النفط الدوليين لإنشاء مشروعاتٍ عدة في أذربيجان تصل إلى مليار دولار، ومن بينهم السعودية. انظر:
President of the Republic of Azerbaijan, "Oil and Gas Projects," accessed Feb. 7, 2019, https://en.president.az/azerbaijan/contract.
ولتفصيل أكثر عن معاهدة القرن، انظر:
Azerbaijan Mineral & Mining Sector Investment and Business Guide, Volume 1, Strategic Information and Regulations, 2012 Edition, International business Publication, USA.

على مشروعات نفطٍ وغازٍ في أذربيجان؛ هما الشركة الوطنية الأذربيجانية (SOCAR) وشركةُ صروف (Soroof) السعودية[٩]. وعلاوةً على ذلك، أسست شركة أرامكو السعودية في عام ٢٠١٨م حضوراً أقوى لها في أذربيجان عبر تسجيلِ مندوبية إقليمية لها في باكو، باسم شركة أرامكو ما وراء البحار-أذربيجان (ذ.م.م)؛ للتركيز على صناعات النفط والغاز في أذربيجان وآسيا الوسطى[١٠].

تفاعل أذربيجان الجديد مع مجلس التعاون الخليجي

وعلاوةً على ما سبق، وبناءً على رغبةِ أذربيجانَ في التفاعل مع الشرق الأوسط وإنشاء مبادراتٍ اقتصادية فيه، استضافت باكو في أكتوبر من عام ٢٠١٧م منتدى الأعمال الأول بين مجلس التعاونِ الخليجيِّ وأذربيجان، بحضور دول المجلسِ الستِّ: السعودية والإمارات والبحرين والكويت وقطر وعمان. نتج عن المنتدى التوصيةُ بدعمِ وتشجيعِ الشراكة والتعاون الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي وأذربيجان. واستنتج المنتدى أن الاستثمارَ الكلِّيَّ لمجلس التعاون الخليجي في أذربيجان وصلَ إلى مليار وثلاثمئة مليون دولار أمريكي، في حين وصل الاستثمارُ الأذربيجاني إلى ثلاثمئة مليون دولار في دول المجلس[١١]. وأشارت البياناتُ الأخيرة في عام ٢٠١٧م إلى زيادةٍ في حجم التبادلِ التِّجاريِّ بين دول مجلس التعاون وأذربيجان ليصل إلى ستةٍ وثمانين مليون دولار. وفوق ذلك، هناك ما يقارب مئتين وستين شركة من دول مجلس التعاون تعمل في أذربيجان[١٢]. وإلى جانب مجلسِ التعاون الخليجي، استهدفت أذربيجانُ الدولَ العربية أيضاً، كما يتضح من إطلاق منتدى المال والأعمالِ الأذربيجاني-العربي الأول في مايو من عام ٢٠١٨م[١٣]. ونظمت المنتدى رابطة التعاون الأذربيجاني-العربي، التي تنشط منذ عام ٢٠١٧ لتقوية وجذب المال والأعمال العربيَّينِ، وخاصةً من دول الخليج.

(9) Caspian Barrel, "Saudi Aramco Opens Subsidiary in Azerbaijan," Apr. 27, 2018, http://caspianbarrel.org/en/2018/04/saudi-aramco-opens-subsidiary-in-azerbaijan/ ; Leman Mammadova, "Azerbaijan, Saudi Arabia Review Energy Cooperation," *Azernews*, Dec. 6, 2018, https://www.azernews.az/oil_and_gas/142178.html

(10) Trend News Agency, "Saudi Aramco Talks on Main Goals of Its Baku Office (Exclusive)," May 23, 2018, https://en.trend.az/business/energy/2906971.html.

(11) Azpromo (Azerbaijan Export and Investment Promotion Foundation), "Azerbaijan–Gulf Cooperation Council (GCC) Member States Business Forum Held," Oct. 20, 2017, http://azpromo.az/en/news/view/azerbaijan-gulf-cooperation-council-gcc-member-states-business-forum-held

(١٢) المصدر السابق.

(13) Caspian Energy News Paper, "Our Focus Is on Hosting the First Azerbaijan-Arab Investment Business Forum, Elshan Rahimov," Apr. 6, 2018, http://caspianenergy.net/en/first-class/44299-2018-04-06-12-06-49.

العَلاقات السعودية الأذربيجانية والتحديات الإقليمية والدولية

من ناحية الجغرافيا السياسية، تقع أذربيجان في موقعٍ مهم إلى جانب بحرِ قزوين، تحدُّها روسيا وجورجيا من الشمال، وأرمينيا من الغرب، وإيران من الجنوب. وتستهدف العَلاقاتُ الدوليةُ لأذربيجان بنشاطٍ تحسينَ عَلاقتِها بجيرانها القريبين والبعيدين، ومن بينهم السعودية. فأذربيجان تستمسكُ بعَلاقاتِ صداقةٍ مع روسيا والصين، وكذلك الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وتركيا وإسرائيل في الشرق الأوسط.

لكن منذُ استقلالها، مرَّت أذربيجان ببعض التوترات الدولية؛ أغلبها مع أرمينيا وبدرجةٍ أقلَّ مع إيران[١٤]. ففي حالة أرمينيا، كان التوتُّر في غالبه متعلقاً بناغورني-كاراباخ منذ أوائل أيامِ الصراع. وفي المقابل، هناك توتر دبلوماسيّ أقلّ مع إيران، لكن العلاقة معقدةٌ وتنافسيةٌ[١٥]. فقد دعم الإيرانيون أرمينيا في مواقفَ عدةٍ، لكنهم حافظوا على عَلاقاتٍ طيبةٍ مع إقليم ناغورني-كاراباخ عندما كان يحكم ذاتَه بفعل الأمرِ الواقع[١٦]. وكذلك، اعترضت إيرانُ وَفقاً لبعض التقارير، على سياسات باكو[١٧]. فكان كلُّ ذلك سبباً من الأسباب التي جعلت باكو على حذر شديد من إيران. وفي هذا الصدد، كان هناك بعض القلق في إيران حول حدودها مع أذربيجان (وكذلك على الحدود مع أرمينيا وتركيا)، وذلك لأن ربعَ سكان إيران من أصول أذربيجانية، ويقطنون بالقربِ من الحدودِ بين البلدين التي تبلغ في طولها قرابة سبعِمئة وخمسة وستين كيلومتراً[١٨].

وعلى الرغم من أنه يبدو أن أذربيجان تواجه بعض التحديات مع جيرانها في الإقليم كأرمينيا، وإيران إلى حدٍّ ما، فإنه في السنوات الأخيرة بدا أن الأمرَ قد تحول تحولاً كبيراً، وخاصةً مع تلك الأخيرة[١٩].

(14) Julien Zarifian, "Iran and Its Two Neighbors Armenia and Azerbaijan: Resuming Relationships under America's Suspicious Eyes," Iran and the Caucasus, 13, no. 2 (2009): 383–399, www.jstor.org/stable/25703816

(15) Zaur Shiriyev, "Azerbaijan Wrestles with Rising Iranian Influence," Eurasianet, Dec. 27, 2017, https://eurasianet.org/azerbaijan-wrestles-with-rising-iranian-influence.

(16) Nasib L. Nassibli, "Azerbaijan-Iran Relations: Challenges and Prospects (Event Summary)," Harvard Kennedy School, Nov. 30, 1999, online at https://www.belfercenter.org/publication/azerbaijan-iran-relations-challenges-and-prospects-event-summary.

(17) Alex Vatanka, "Iran-Azerbaijan Relations Hit the Rocks over Iranian Meddling in Azerbaijani Internal Affairs," Middle East Institute, Feb. 2, 2017, https://www.mei.edu/publications/iranazerbaijan-relations-hit-rocks-over-iranian-meddling-azerbaijani-internal-affairs.

(18) Ali M. Koknar, "Iranian Azeris: A Giant Minority," Washington Institute for Near East Policy, June 6, 2006, https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/iranian-azeris-a-giant-minority.

(19) Azad Garibov, "Iran and Azerbaijan Proceed with Rapprochement as Diplomatic Exchanges Multiply," *Eurasia Daily Monitor,* 16, no. 39 (Mar. 20, 2019), https://jamestown.org/program/iran andazerbaijan-proceed-with-rapprochement-as-diplomatic-exchanges-multiply/.

فعلى الرغم من أن إيرانَ لم تكن على عَلاقةٍ جيدة مع أذربيجان في الماضي القريب، فإنه في فترة رئاسة حسن روحاني (٢٠١٣-) أقامت إيران بعض الاتصالات المبدئية مع أذربيجان، ونجحت بالفعل. فمنذ ديسمبر من عام ٢٠١٨م، عثر البلدانِ على أرضيةٍ مشتركةٍ، وأصبحا على علاقة طيبة، وذلك كما يتضحُ من الزيارات الأخيرة للمسؤولين الإيرانيين بعد اتفاق بُلدانِ بحر قزوين الخمسة في أغسطس من عام ٢٠١٨م[٢٠].

وعلى المستوى الدوليِّ، كان الموقف الأمريكي في سياسات جنوب القوقاز داعماً لأذربيجان، وخاصةً فيما يتعلق بأمنِ الحدود والدفاع والتموين. فوَفقاً لتقارير البنتاجون المقدمة للكونغرس، خصّصت الولايات المتحدة لأذربيجان في عام ٢٠١٨م أكثرَ من اثنين وأربعين مليوناً وتسعمئة ألف دولار أمريكي[٢١]. ومن الواضح أن الولاياتِ المتحدةَ داعمةٌ لأذربيجان، وخاصةً بعد زيادة عقوباتها ضد إيران. وعلى الجانب الآخَرِ، كانت روسيا تتنافسُ مع الولايات المتحدة لدعم ومساعدة أذربيجان. وكان هدف المحاولات الروسية دعم أعمالها واستثماراتها في أذربيجان، وكذلك إعلان دعمها لبناء خطِّ نقلِ بضائعَ يعبر إيران وأذربيجان وروسيا[٢٢]. وعلى الرغم من أن كِلا البلدين، روسيا وأمريكا؛ يحاولان بَسطَ نفوذهما في القوقاز ودعم علاقاتهما الثنائية مع أذربيجان، فإن هذه الأخيرةَ كانت حريصةً في اتفاقاتها مع كليهما، وسارت على سياسات متقاربة تجاهَ الجميع، على الرغم من أن التحليلَ يشيرُ إلى أن الأذربيجانيين يفضلون الدعمَ الغربيَّ[٢٣].

وقّعت إيران وأذربيجان المبادئ الأساسية للنسخة الإلكترونية من اتفاق نقل البضائع الدولي تحت غطاء اتفاقية TIR في أكتوبر من عام ٢٠١٨م ويناير من عام ٢٠١٩ على التوالي. انظر:

"Iran, Azerbaijan Launch e-Tir Pilot Project," Financial Tribune, June 19, 2019, https://financialtribune.com/articles/domestic-economy/98531/iran-azerbaijan-launch-e-tir-pilotproject.

(٢٠) اتفاقية بحر قزوين نتجت عن اتفاق دول البحر الخمسة، أذربيجان وإيران وكازاخستان وتركمانستان وروسيا؛ على «الوضع القانوني لبحر قزوين». وصلت بعض التحليلات إلى أن هذا الاتفاق نوقش لأكثر من عشرين عاماً. عرّف الاتفاق بحرَ قزوين باعتباره بحراً لا بحيرة، مما يعطي تحكماً مماثلاً لكل الأطراف في البحر، ويتضمن سيطرةً أكبر لروسيا على منطقة جنوب القوقاز. لمعلومات أكثر عن سياسة إيران فيما يخص أذربيجان وأرمينيا عندما يتعلق الأمر ببحر قزوين، انظر:

Claude Moniquet and William Racimora, "The Armenia-Iran Relationship: Strategic Implication for Security in the South Caucasus Region," European Strategic Intelligence and Security Center, Jan. 2013, http://www.esisc.org/upload/publications/analyses/the-armenian-iran-relationship/ArmenianIran%20relationship.pdf.

(21) Betsenat Gebrewold, "Security Assistance in Focus: Azerbaijan State Border Service and State Customs Committee," Security Assistance Monitor, Jul. 28 2019, http://www.securityassistance.org/fact_sheet/security-assistance-focus-azerbaijan-state-border-serviceand-state-customs-committee.

(22) Zaur Shiriyev, "Azerbaijan Relations with Russia Closer by Default?", Chatham House, Mar. 14, 2019, https://www.chathamhouse.org/publication/azerbaijan-s-relations-russia-closer-default.

(23) Luke Coffey and Efgan Nifti, "Why the West Needs Azerbaijan," Foreign Policy, May 28, 2018.

كانت أذربيجان والسعودية منذ بدأت العلاقات الدبلوماسية على علاقة طيبة في القضايا السياسية والدولية المتنوعة، وكذلك في التعاون الاقتصادي. وفي السنوات القليلة الماضية، بدأ البلدان في التفاعل بنشاط بعضهما مع بعض لتحسين العَلاقاتِ الدبلوماسية والاقتصادية الثنائية، ولتتضمن إمكانية التعاون العسكري[٢٤]. وفي الواقع، عيّنت أذربيجان مؤخراً ملحَقاً عسكريّاً وأسست مكتباً في الرياض. وفي أبريل من عام ٢٠١٩م، بدأ المسؤولون العسكريون في البلدَينِ في تبادل الزياراتِ والاجتماعات، مما أدى إلى توقيعِ كلا الطرفين على اتفاقٍ لتعزيزِ التعاون العسكري في السنوات القادمة[٢٥]. ويشير ذلك إلى أنه عاجلًا لا آجلًا قد تبدأ التدريبات العسكرية والمناورات في كلا البلدين، وربما الاستثمارُ أيضاً في صناعة السلاح في كليهما[٢٦].

(24) *Azuision.az (Azerbaijani Vision),* "Azerbaijan, Saudi Arabia Discuss Expansion of Military Cooperation," Jan. 23, 2019, https://en.azvision.az/news/99807/-azerbaijan,-saudi-arabia-discuss-expansion-of-military-cooperation-%C2%A0-.html; Ministry of Defence of the Republic of Azerbaijan, "Azerbaijan and Saudi Arabia Discussed the Issues of Expanding Military Cooperation", Jan. 23, 2019, https://mod.gov.az/en/news/azerbaijan-and-saudi-arabia-discussed-the-issues-ofexpanding-military-cooperation-25576.html.

(25) Ramiz Mikayıloğlu, "Azerbaijan and Saudi Arabia Discussed the Prospects for the Development of Relations between the Armies of the Two Countries," Ona, Apr. 7, 2019, https://ona.az/en/military/azerbaijan-and-saudi-arabia-discussed-the-prospects-for-the-development-ofrelations-between-the-armies-of-the-two-countries-2377.

(٢٦) إن انتهى الأمر إلى ذلك التصور، قد يؤدي إلى العديد من النتائج؛ أهمها، أنه قد يعقّد العلاقة المتقلبة بين إيران وأذربيجان.

الثقافة والسياحة توضّح الكثير

لا يقتصر تحسُّن العلاقات بين أذربيجان والسعودية على الجانبين السياسي والاقتصادي فحسب، بل أيضاً فيما يبدو على مستوى الثقافةِ والسياحة. فمن الجديرِ بالذكرِ أنَّ كلا البلدين عضوٌ في منظمة التعاون الإسلامي، ويشتركان في بعض أوجه التشابه الثقافية والدينية والتاريخية. فعلى سبيل المثالِ، رغم أن أذربيجان قائمة على دستور علماني؛ فلديها العديد من المساجد وبعض معابد الأديان الأخرى، وجميع زوار البلد يتمتعون بحرية العبادة. وتبين التقاريرُ الأخيرةُ أن زيارةَ السعوديين لأذربيجان قد ارتفعت بشكل ملحوظ[٢٧].

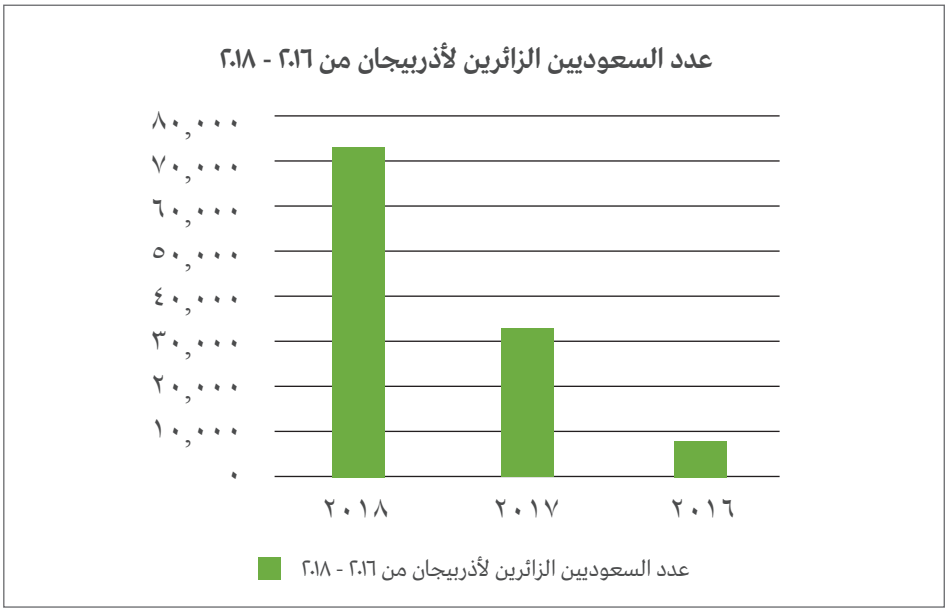

(المصدر: الإحصاء الحكومي في أذربيجان)

فقد رصدَ الإحصاء الحكومي في أذربيجان أنه في عام ٢٠١٦م كان عدد السياح القادمين من السعودية سبعةَ آلافٍ وخمسَ مئة سائحٍ (٧,٥٠٠)، ثم انطلق ليتضاعفَ أكثر من أربعِ مرّات في عام ٢٠١٧م ليصلَ إلى ثلاثةٍ وثلاثين ألف سائح (٣٣,٠٠٠)[٢٨]. وعلاوة على ذلك، أصبح، في عام ٢٠١٨؛ عددُ السائحين السعوديين، الذي بلغ ثلاثةً وسبعين ألف سائح (٧٣,٠٠٠)؛ يشكّل ٢,٦ في المئة من العددِ الكليِّ للسائحين في أذربيجان

(27) Azertac (Azerbaijan State News Agency), "Azerbaijani Finance Minister: 73,000 Saudi Tourists Visited Azerbaijan Last Year," Mar. 3, 2019, https://azertag.az/en/xeber/Azerbaijani_finance_minister_73000_Saudi_tourists_visited_Azerbaijan_last_year-1254168.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢,٨ مليون). بل إن عددَ السائحين القادمين من دول مجلس التعاون الخليجي تضاعفَ هو الآخَر. فعلى سبيل المثالِ، زاد عددُ السائحين من البحرين بنسبةٍ تفوق المئتين في المئة، ومن الكويت بنسبةِ مئتين في المئة، ومن الإمارات بنسبةٍ تفوقُ ثلاثَ مئة في المئة، ومن عُمان بنسبة تفوق ثمانيةً في المئة. إنَّ تدفق السائحين إلى أذربيجان أمرٌ مفهوم، لا سيما أن البلاد تقدم العديد من الخيارات للسائحين، كتوفُّر الأطعمة الحلالِ، وقُربُها الجغرافي من دول الخليج. وبالإضافةِ إلى مناخها المعتدل، تمتلك أذربيجان بيئة ساحلية لإطلالها على بحر قزوين. وقد وَجدَت دراسة حديثة أصدرتها شركة أذربيجانية إلى أن السعوديين والإماراتيين أكثر مَن يُكررون زياراتِهم من دول مجلس التعاون الخليجي، ووصل عددُ السائحين الإماراتيين إلى ثلاثةٍ وتسعين ألفاً، متجاوزين بذلك السعوديين أنفُسَهم في عام ٢٠١٨م[٢٩]. ووَفقاً للدراسة نفسِها، يفضل السياحُ السعوديون باكو؛ إذ يقيمون لستة أيامٍ في المتوسط، وأكثرُ الأقاليم زيارةً هو غابالا، وهي منطقةٌ تاريخيةٌ ذاتُ إطلالة جبلية تقع في شمالِ أذربيجان.

ومن الوجهات الأخرى التي تتنافسُ مع أذربيجان في قطاع السياحة تركيا وجورجيا. وذلك على الرغم من أن تركيا قد تكون قد بدأت في خَسارةِ حصتِها، في الغالب لأذربيجان. فقد أشار أحدُ خبراء صناعة السياحة إلى أن العملياتِ الإرهابيةَ وعدم الاستقرار السياسي المستمر في تركيا هما السبب لمنع السياح من القدوم إلى هناك والذَّهاب إلى أذربيجان، التي وجدَ فيها السياحُ وجهةً بديلةً وأكثر أماناً[٣٠]. وكذلك كانت مبادراتُ الحكومة الأذربيجانية من بين الأسباب الأخرى التي ساهمت في زيادة شعبية أذربيجان باعتبارها وجهةً سياحية. فمثلاً، بدأت أذربيجان في ٢٠١٦م إصدار تأشيرات عبور للسعوديين ولسكان دول مجلس التعاون الخليجي لمدة ثلاثينَ يوماً. ولسنواتٍ عدة، لم يكن هناك رِحْلاتُ طيرانٍ مباشرٍ بين السعودية وأذربيجان، لكن مؤخراً (منذ عام ٢٠١٨م)، أطلق البلدانِ رحلاتٍ مباشرةً على خطوط طيرانِهما المحلية[٣١]. وبمقدور هذه التطوراتِ المساعدةُ في زيادة العمل في مجالات السياحة والخدمات والاستثمار والتسويق وكذلك قطاعات الاستيراد والتصدير.

(29) Azerbaijan Tourist Board, "Tourism Departure Survey 2018," https://azerbaijan.travel/pdf/18011_ATB_Tourism_Departure_Survey_EN.pdf.

(30) Austin Clayton, "Facing Influx from Middle East, Azerbaijan Reconsiders Tourism Strategy," Eurasianet, Dec. 24, 2018, https://eurasianet.org/facing-influx-from-middle-east-azerbaijanreconsiders-tourism-strategy.

(31) Trend News Agency, "Azerbaijan's National Air Carrier Presents New Destinations to Saudi Arabia in Riyadh," Apr. 15, 2019, https://en.trend.az/azerbaijan/business/3046549.html; Flynas, "Flynas Announces Direct Flights to Georgia, Austria, Azerbaijan and Greece Now Available for Booking, 1May 2018," https://www.flynas.com/en/media-center/news-updates/960-new-destinatios.

مستقبل العلاقات الأذربيجانية السعودية

تحمل أذربيجان والسعودية العديد من القضايا القائمة على أرضية صلبة، ومتعلقة بالسياسة والاقتصاد والمجتمع. ولم يمر البلدان أبداً بأيِّ صراع كبير ولو حتى توتراً خفيّاً، بل لديهما عَلاقاتٌ ثنائية جيدة ومتبادلة. ومن المهم الإشارةُ إلى أن العلاقة قد تطورت بسرعة في السنوات الأخيرة، كما يبدو في طابع الزيارات السياسية والرسمية وعددها، وفي توقيع الاتفاقاتِ بين الحكومات، والزيادة الكبيرة في عدد المبادرات التجارية والسياحة.

لكن يبدو أنه رغم هذا التطور، كانت التجارة على الصعيد الاقتصاديِّ بين البلدين أبطأَ مما يجب، إذ كانت أقلَّ من عشرين مليون دولار في ٢٠١٨م. وكذلك، في حين أن الحكومتين قد وقَّعَتا العديدَ من الاتفاقات في الاستثمار وتقنية المعلومات والتجارة والاستيراد والتصدير، فإنه من المهم تطبيق هذه الاتفاقات الموقعة عاجلاً لا آجلاً، لأن التأخيرَ قد يمنع أيَّ فائدة تعود على الطرفين.

وكذلك، فيما يتعلق بالسياسة، على الرغم من أن أذربيجان لم تكن تُقيم عَلاقاتٍ قويةً مع إيران لسنواتٍ عدةٍ، فإن الموقِفَ قد بدأ يتغيرُ بعد التحركات السياسية الإيرانية الأخيرة والاتفاقات الثنائية مع أذربيجان. ولذلك، من المهمِّ التنسيق بين أذربيجان والسعودية فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية والتطورات الحديثة، لا فيما يتعلق بإيرانَ فحسب، بل فيما يتعلَّقُ كذلك ببحر قزوين وإنتاج النفط والاستثمار في البتروكيماويات وعملية السلام في الشرق الأوسط.

وفيما يخُصُّ الثقافة والسياحة، من المتوقع أن صناعة السياحة ستواصل تمدُّدَها لتجذبَ مشروعاتٍ مستقبلية. لكن بغضِّ النظر عن هذا الأفقِ الإيجابيِّ، يمثِّلُ المستوى الحاليُّ للتبادل الثقافي مستوىً غيرَ كافي. فالمثال المنشود هو قيامُ تبادل للأنشطة الثقافية والصحفيين والطلاب ورجال الأعمال ومبادرات القطاع الخاص، للانتقال بالعَلاقات الثنائية بين الدولتين إلى علاقات متبادلة ومستمرة بين كِلا الشعبين.

وكي تتحسنَ العلاقة الأذربيجانية السعودية أكثر، يجب على البلدين تفعيل الاتفاقات الثنائية الموقَّعة، وزيادةُ حجم التجارة -بمساعدة القطاع الخاص- نظراً لأن البلدين من الدول المنتجةِ للنفط، والتركيز على تطوير أعمالٍ غيرِ النفط؛ لأن ذلك يمثِّلُ جزءاً أساسيًّا من رؤية ٢٠٣٠م السعودية[٣٢].

(٣٢) انظر النسخة الإنجليزية من رؤية السعودية ٢٠٣٠م في:
https://vision2030.gov.sa/sites/default/files/report/Saudi_Vision2030_EN_2017.pdf.

فعلى كلا البلدين إطلاق شراكاتٍ أكثرَ لاستكشاف كلِّ الفرص الممكنة لنفعِ الطرفين. لكن في النهاية، العَلاقةُ بين أذربيجان والسعودية قويةٌ من منطلق الفرصِ الاقتصادية والسياسية المشتركة بينهما. والأمرُ متوقِّفٌ على بذل البلدين الجهدَ لتقوية عَلاقاتِهما لتحقيق أقصى مدىً المكاسب الثنائية والمتبادلة.

وإجمالاً، من المهم تحديد عددٍ من التوصيات لتقوية التحالف الأذربيجاني السعودي:

١. يجب على الحكومتين الإبقاءُ على قنوات حوار رسمية لدعم التعاون في الأنشطة الاقتصادية والسياسية والثقافية. وقد يؤدي ذلك إلى ضرورةِ إقامةِ ورشة عمل أو منتدى يجمع الممثلين الحكوميين وغير الحكوميين للمؤسسات المعنية، لمناقشة التحدياتِ وتقديمِ الاقتراحات لتحسينِ العَلاقاتِ الثنائية في مجالات الأعمال المهمة والمؤثرة.

٢. من المهم للغاية أن يدعَمَ البلدان مبادراتِ القطاعِ الخاص في البلدين ويسهلان إطلاقَها، في مجالات الأعمال والصناعات التقنية والتجارة والاستيراد والتصدير والسياحة والصحة.

٣. لدى البلدين صناعات ناشئة في النفط والغاز والبتروكيماويات. لذلك من المهم جدّاً التواصل فيما بينهم في الأعمال المتعلقة بهذا الأمر، والتنسيقُ لتيسيرِ التعاون في المستقبل.

٤. يجب على البلدين الاهتمام بالتطوراتِ والنزاعات السياسية، وخاصةً تلك المتعلقة بإيران. ولذلك، من المهمِّ للغاية تأسيس البلدين لقنواتٍ سياسية وأمنية وعسكريةٍ للتعاون والتنسيق لأجل أن يصل البلدان إلى موقفٍ أكثرَ استراتيجيةً في هذه القضايا.

٥. يجب على السعودية، اقتداءً بمنتدى المالِ والأعمال الأذربيجاني-العربي؛ أن تؤسسَ منظمةً مستقلةً للمال والأعمال تسعى لمراقبة وتحليل شركات الأعمال ورأس المال الناشئ والتواصل معه، وخاصةً المبادرات التي تنشئها دولُ مجلس التعاون الخليجِ الست في أذربيجان ودول آسيا الوسطى المحيطة بها، مثل جورجيا، وكذلك دور بحر قزوين مثل كازاخستان وتركمانستان.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وبناء جسرٍ للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدّم المركز تحليلات متعمّقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والاقتصاد السياسي، والدراسات الأمنية، والدراسات السعودية، ودراسات شمال إفريقيا والمغرب العربي، والدراسات الآسيوية. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

ص.ب ٥١٠٤٩ الريـــــاض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+) تحويلة: ٦٨٩٢ - فاكس: ٤٦٥٩٩٩٣ (١١ ٩٦٦+)
بريد إلكتروني: research@kfcris.com